

صبحي الصالح وجهوده في علوم القرآن

من خلال كتابه "مباحث في علوم القرآن"

إعداد

الدكتور عبد العزيز حاجي

كلية الشريعة – جامعة دمشق

2008 – 2009م

منشور في مجلة " التراث العربي " العدد : (115) (رمضان) 1430 هـ (إيلول) 2009م السنة
التاسعة والعشرون.

صبحي الصالح وجهوده في علوم القرآن من خلال كتابه

"مباحث في علوم القرآن"

المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل القرآن هدىً ورحمةً للمتقين، والصلاة والسلام على المبيّن الأول لألفاظ القرآن ومعانيه وعلومه - محمد بن عبد الله، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن المصنفات التي ألفت في علوم القرآن خلال القرون المتتابعة منذ نشأة هذا العلم وإلى يومنا هذا - تأخذُ حيزاً كبيراً، وتحلّ موقِعاً بارزاً في المكتبة الإسلامية، وتصدّي للتأليف فيه كثيرٌ من العلماء المبرزين في هذا المجال قديماً وحديثاً.

ومن العلماء المعاصرين الذين شاركوا في التأليف في هذا العلم الشيخ الدكتور صبحي الصالح في كتاب له بعنوان: ((مباحث في علوم القرآن))، وقد بذل جهوداً علمية مميزة فيه وفي غيره من الكتب التي قام بتأليفها إلى درجة تستحق أن تكون هذه الجهود - من وجهة نظري - موضوعات لأبحاث علمية ورسائل ((أكاديمية)) ودراسات نقدية للوقوف على مسيرته العلمية ومنهجيته وماله وما عليه.

ومن هنا كان هذا البحث المعنون بـ ((صبحي الصالح وجهوده في علوم القرآن من خلال كتابه: ((مباحث في علوم القرآن))).

وتكمن أهميته - فيما أرى - في عدة أمور، منها أنه:

- يتناول باحثاً علمياً معاصراً بالدراسة، وعلماً من أعلام الفكر الإسلامي الذين بذلوا جهوداً معتبرة للنهوض بالمجتمع الإسلامي.

- يسلط الضوء على كتاب مهم في حقل الدراسات القرآنية، فيه ما يميزه عن كثير من الكتب الأخرى في هذا المجال - من عمق في التحليل والمناقشة، ومنهجية في طريقة العرض والمعالجة.

- يقف على المنهجية العلمية التي سار عليها مؤلف الكتاب من أوله إلى آخره في مجال التوثيق والعزو والمعالجة، وكيفية الإفادة من المصادر والمراجع القديمة والمعاصرة.

ومن شأن الاطلاع على هذه الجوانب وعرضها عرضاً مناسباً- أن يكون فيها ما يحفز طلاب العلم والباحثين إلى الإفادة منها، والاهتداء بها في مجال البحث العلمي.

وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد ومطلبين وخاتمة، أشرت في المقدمة إلى أهمية البحث ومجاله، وذكرت في التمهيد لمحة مختصرة في التعريف بمصطلح ((علوم القرآن)) وأشهر ما ألف فيه، وخصصت المطلب الأول للتعريف بالشيخ صبحي الصالح وآثاره العلمية، وفي المطلب الثاني تناولت كتابه بالتعريف والوقوف على عمله فيه، وفي الخاتمة لخصت أهم النتائج التي انتهى إليها البحث.

وقد اعتمد البحث على المنهجين التاريخي والوصفي في الحديث عن حياة الشيخ ونشأته العلمية وما قام به من أعمال ونشاطات في حياته وفي ذكرما توصل إليه من مؤلفاته، واستقرأ المسائل والعناوين التي تناولها في مؤلفه: "مباحث في علوم القرآن" وحللها للوصول إلى أحكام صحيحة بشأنها مع شيء من الموازنة ((المقارنة)) بين ما انتهى إليه المؤلف في بعض القضايا وما ذهب إليه غيره.

وليست هناك دراسة علمية سابقة في جهود الشيخ في علوم القرآن- في حدود علمي- فالبحث في هذا الجانب جديد ومبتكر، ومع ذلك فلا يمكن الإدعاء بأن هذه المحاولة قد بلغت الغاية المرجوة من استيفاء الموضوع حقه، فما هي إلا إضاءات على طريق البحث، أسأل المولى- سبحانه وتعالى- أن يتيح لي ولغيري فرصاً لإنجاز دراسات أخرى في هذا الجانب، والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

تمهيد: لمحة مختصرة في التعريف بمصطلح « علوم القرآن » * وأشهر ما أُلّف فيه.

يطلق مصطلح « علوم القرآن » لدى الباحثين في الدراسات القرآنية، ويراد بها معنيان باعتبارين مختلفين، وهما:

♦ المعنى الأول- باعتباره مركباً إضافياً⁽¹⁾: مجموعة العلوم الدينية والعربية التي تتصل بالقرآن الكريم، وبناءً على ذلك فكلُّ ما أُلّف في التفسير والقراءات وأسباب النزول والإعجاز والفقهِ والعقيدة وغيرها منذ نشأة كل علم من هذه العلوم وإلى اليوم- يندرج تحت هذا المعنى.

♦ والمعنى الثاني- بالنظر إلى أنه جعل علماً على علم معين وفن مدون- ((مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله وترتيبه وجمعه وقراءاته وتفسيره وإعجازه وناسخه ومنسوخه ودفع الشبه عنه، ونحو ذلك...))⁽²⁾.

وبالموازنة بين المعنيين نجد أن هذا اللفظ (علوم القرآن) ((نقل من ذلك المعنى الإضافي، ثم جعل علماً على علم معين، وأصبح مدلوله بعد النقل- وهو علم- غير مدلوله قبل النقل وهو مركب إضافي؛ ضرورة أنّ هذا الفن ليس هو مجموعة العلوم الدينية والعربية، بل هو غيرها وإن كان مستمداً منها ومأخوذاً عنها))⁽³⁾.

* يقتضى منهج البحث التحليلي التحدث عن طرفي المركب الإضافي، وهما: علوم، والقرآن، وبيان معنى كل منهما في اللغة والاصطلاح، قبل بيان المعنى الإضافي والمعنى اللقبى- كما يقول العلماء- لكنني اقتصر على ما ذكرت انسجاماً مع طبيعة البحث ولئلا تتشعب مسالك الدراسة. وللتوسع في معرفة ذلك ينظر: مناهل العرفان للشيخ الزرقاني: 1 / 23 وما بعد.

(1) ينظر: مناهل العرفان: 1 / 41 وما بعد، علوم القرآن الكريم: 8 وما بعد، من روائع القرآن: 76 - 81.

(2) مناهل العرفان: 1 / 42.

(3) المصدر السابق نفسه.

وقد اختلف الباحثون⁽¹⁾ والدارسون في تحديد أول من ألف في علوم القرآن بالمعنى الثاني، وأحدث الدراسات⁽²⁾ تشير إلى أن أبا الفرج عبد الرحمن بن الجوزي (597 هـ) هو أول من ألف في علوم القرآن بهذا المعنى - في كتابه: ((فنون الألفان في علوم القرآن))، ثم تتابعت المؤلفات بعده إلى يومنا هذا، ومن أشهر المؤلفات القديمة:

- جمال القراءة وكمال الإقراء لعلم الدين السخاوي (643 هـ).
- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، لأبي شامة المقدسي (665 هـ) وهو من تلاميذ السخاوي،

- البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي (794 هـ).
- الإتيقان في علوم القرآن للإمام جلال الدين السيوطي (911 هـ). وكلها مطبوعة.
ومن أهم المؤلفات المعاصرة:

- التبيان في علوم القرآن، للشيخ طاهر الجزائري (1338 هـ).
- مناهل العرفان في علوم القرآن، للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني (1367 هـ).
- مباحث في علوم القرآن، للشيخ الدكتور - صبحي الصالح - موضوع البحث.
- من روائع القرآن، للأستاذ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي
- علوم القرآن الكريم، للأستاذ الدكتور نور الدين عتر. وكلها مطبوعة.

وهذه المؤلفات التي ذكرتها - قديمها ومعاصرها - تندرج تحت مصطلح علوم القرآن بالمعنى الثاني، ومنها: الكتاب موضوع البحث.

(1) ينظر: مناهل العرفان: 54/1، مباحث في علوم القرآن، مناع القطان: 9 - 10.

(2) ينظر: بحث: علوم القرآن الكريم تاريخه وتطوره، للدكتور محمد الشرجي، مجلة جامعة دمشق، المجلد الثاني عشر، العدد: (1996م): 160 وما بعد، إتيقان البرهان في علوم القرآن: 8/1.

المطلب الأول- التعريف بالشيخ صبحي الصالح وآثاره العلمية:

وذلك من خلال ما يلي:

أولاً- اسمه وولادته ونشأته العلمية⁽¹⁾:

هو الشيخ الدكتور صبحي إبراهيم مصطفى الصالح أحد أبرز رجالات الفكر والعلم في العالم الإسلامي المعاصر، وباحث أكاديمي من الطراز الأول، ومن خيرة العلماء الدعاة ثقافة وسعة اطلاع ونصاعة فكر.

ولد الشيخ الصالح في ميناء طرابلس (لبنان) سنة (1345 هـ / 1926م) ولما بلغ سن التلقي والتحصيل، أخذ يتردد على حلقات العلم في ((الجامع المنصوري)) الكبير⁽²⁾، وينهل من العلوم الشرعية ما شاء له أن ينهل، وقد جمع بين العلوم الشرعية والمدنية في بداية دراسته في ((دار التربية والتعليم الإسلامية)) في طرابلس، وكان الشيخ قد رزق نعمة النبوغ وحدة الذكاء والقدرة على الاستيعاب والفهم منذ نعومة أظفاره، فلمع نجمه، وذاع صيته، وانتشر ذكره وهو لم يتم بعد الثانية عشرة من عمره- من خلال خطب الجمعة والمحاضرات التي كان يلقيها في مساجد طرابلس ومنابرها، وعرف في هذا السن المبكر من حياته- بأنه خطيب مفوّه وصاحب فكر نير وتميز⁽³⁾.

ومن أجل متابعة تحصيله العلمي ودراساته سافر إلى مصر، والتحق بـ: ((كلية أصول الدين في جامعة الأزهر)) فحصل على الشهادة العالية (الإجازة) عام (1947م)، وحصل على الشهادة العالمية عام (1949م) وكان قد انتسب في الوقت نفسه إلى كلية الآداب في جامعة القاهرة، وحصل منها على الإجازة في الأدب العربي عام (1950م) بدرجة امتياز⁽⁴⁾.

⁽¹⁾ ينظر- في ترجمته- : تنمة الأعلام للزركلي، محمد خير يوسف: 1 / 241 - 242، تكملة معجم المؤلفين، محمد خير يوسف: 241 - 242، إتمام الأعلام (ذيل لكتاب الأعلام لخيرالدين الزركلي)، د.نزار أباطة - محمد رياض المالح: 129، عقد الجواهر في علماء الربع الأول من القرن الخامس عشر، الدكتور يوسف المرعشلي: 2 / 1855 - 1857، دراسة لكتاب ((الإسلام ومستقبل الحضارة للدكتور صبحي الصالح)) بحث محمد عبد السلام الجفائري في مجلة كلية الدعوة الإسلامية، العدد: 8(1991م)، ليبيا: 194 - 195.

⁽²⁾ ينظر : عقد الجواهر، المرعشلي: 2 / 1855.

⁽³⁾ ينظر : المرجع السابق نفسه.

⁽⁴⁾ ينظر : عقد الجواهر، المرعشلي: 2 / 1855، تنمة الأعلام، محمد خير يوسف: 2 / 241.

ولم يقف طموحه في التحصيل العلمي عند هذا الحد، بل أراد أن يتزود بالعلوم العصرية، ويجمع بين المنهجية العلمية السائدة في الجامعات الإسلامية في المشرق العربي الإسلامي والمنهجية المتبعة في الجامعات الغربية في تناول العلوم الشرعية الإسلامية ونشر الثقافة الإسلامية. فرحل إلى باريس ودخل أروقة جامعة ((السوربون))، ومكث فيها أربع سنوات، وحاز على شهادة ((الدكتوراه)) في الآداب عام (1954م) على أطروحتين اثنتين قام بإعدادهما باللغة الفرنسية، الأولى - بعنوان: ((الدار الآخرة في القرآن الكريم))، والثانية - بعنوان: ((الإسلام وتحديات العصر))⁽¹⁾.

ولم تكن همة الشيخ الصالح مقتصرة على التحصيل العلمي وإعداد الأبحاث للحصول على المؤهل العلمي المطلوب في فرنسا، بل كان يشتغل بالدعوة إلى الله - سبحانه وتعالى - فأنشأ مع صديقه الباحث الإسلامي الشهير ((محمد حميد الله الحيدر آبادي)) في باريس أول مركز ثقافي إسلامي، وكان يلقي خطب الجمعة في مسجد باريس، ويشارك في تعليم الأفرقة المسلمين اللغة العربية، ويحاضر في الأندية الثقافية الفرنسية⁽²⁾.

ثم عاد الشيخ صبحي الصالح إلى مسقط رأسه طرابلس عام (1954م) وقد اكتملت شخصيته العلمية، ونضجت، وجمعت بين ثقافة إسلامية عالية رفيعة المستوى من جامعة الأزهر الشريف، وثقافة فكرية عصرية عالية ومنهجية علمية من جامعة السوربون، وأخذ يمارس نشاطه العلمي والدعوي من خلال منابر المساجد والمنتديات الفكرية والجامعات، ويدعو إلى فكره النير الذي كان يرى من خلاله: ((أن المسلم يجب أن يماشى ركب الحضارة والمدنية وأن يستشرف آفاق المستقبل بكل تطلعاته واحتياجاته؛ لأنَّ الإسلام دين التطور والحضارة لا دين التجر والركود))⁽³⁾.

ويرى أيضاً أن المفكر المسلم ينبغي له ((أن يتحول في مواجهته للتحدي التكنولوجي من موقع المتلقي المقلد المحاكي إلى موقع المشارك الفعلي البناء الذي لا يكف لحظة واحدة عن استكمال خطواته في صنع الحضارة والإضافة إليها ولسان حاله يردد مع القرآن: ﴿ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ [طه: 114]، ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: 9]، ﴿ يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴾ [المجادلة: 9] ومع خاتم النبيين يردد ((الحكمة

(1) ينظر : عقد الجواهر، المرعشلي: 2 / 1855.

(2) ينظر: إتمام الأعلام، د. نزار أباطة، محمد رياض المالح: 29، عقد الجواهر، المرعشلي: 2 / 1855 - 1856.

(3) كما في: عقد الجواهر، المرعشلي: 2 / 1855.

ضالة المؤمن أنى وجدها التقطها))⁽¹⁾، ((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف))⁽²⁾....⁽³⁾.

وبهذه العقلية الناضجة والروح العلمية المتفتحة يدعو المفكر المسلم إلى أن يقوم بدوره في بناء الحضارة الإنسانية الراقية، وأن لا يجد اليأس سبيلاً إليه حيث يقول: (0.. وما كان للمفكر المسلم أن ييأس وهو يتلو قول الله: ﴿ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ [يوسف: 87]⁽⁴⁾.

ثانياً- المناصب الدينية والعلمية التي تقلدها⁽⁵⁾:

تبوأ الشيخ صبحي الصالح مكانة مرموقة في مجتمعه، وتولى مناصب دينية وعلمية عديدة لما كان يتمتع به من قدرة علمية فائقة وفكر نير وسمات قيادية في شخصيته، أما المناصب الدينية التي تقلدها فهي:

- نائب رئيس المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى الذي يرأسه مفتي الجمهورية اللبنانية.
- الأمين العام لرابطة العلماء في لبنان.
- رئيس اللجنة العليا للقرن الخامس عشر الهجري في لبنان.
- نائب رئيس المجلس الاستشاري لمفتي الجمهورية.
- رئيس الجمعية الخيرية لرعاية أطفال المسلمين في لبنان.

⁽¹⁾ رواه الترمذي وغيره عن أبي هريرة بألفاظ مختلفة وفي سننه إبراهيم بن الفضل المدني وهو ضعيف، قال الترمذي بعد أن ساقه بلفظه: ((هذا حديث غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه وإبراهيم بن الفضل المدني المخزومي يضعف في الحديث من قبل حفظه))، ينظر: سنن الترمذي، كتاب العلم، باب ماجاء في فضل الفقه على العبادة: 5/51(2687)، كشف الخفاء، للعجلوني: 1/ 363 - 364.

⁽²⁾ رواه الإمام مسلم وغيره. ينظر: صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب القدر، باب الإيمان للقدر والإذعان له: 16/164(2664)، كشف الخفاء، للعجلوني: 2/298.

⁽³⁾ الإسلام ومستقبل الحضارة، د. صبحي الصالح: 9 - 10.

⁽⁴⁾ المصدر السابق نفسه، وينظر: دراسة لكتاب الإسلام ومستقبل الحضارة: 195 - 196.

⁽⁵⁾ ينظر: عقد الجواهر، المرعشلي: 2 / 1856، تكملة معجم المؤلفين، محمد خير يوسف: 241 - 242، إتمام الأعلام، د. نزار أباظة، محمد رياض المالح: 129.

وأما المناصب العلمية والجامعية التي شغلها فهي:

- عضوية كلٍ من: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، وأكاديمية المملكة المغربية، والمجمع العلمي العراقي في بغداد، ولجنة الإشراف العليا على الموسوعة العربية الكبرى بدمشق.

وقد عمل في التدريس الجامعي والمناصب الجامعية ما يقارب (32) اثنتين وثلاثين سنة منذ العام (1954م)؛ فقد درس في جامعة بغداد (1954- 1956 م) وفي جامعة دمشق (1956 - 1963 م)، وعمل أستاذاً في جامعة بيروت العربية منذ تأسيسها (1960 م)⁽¹⁾، وفي الجامعة الأردنية (1971 - 1973 م) وكان فيها رئيساً لقسم أصول الدين، وعين أستاذاً في ملاك الجامعة اللبنانية منذ عام (1963 م) ومديراً لها، وانتخب رئيساً لقسم اللغة العربية وآدابها فيها.

وحاضر بصفة أستاذ زائر في كثير من الجامعات العربية، وشارك في الإشراف على رسائل الدكتوراه ومناقشتها في جامعات فرنسية⁽²⁾.

وقد منحته المنظمة العربية للتربية والثقافة جائزة التفكير الاجتهادي في الإسلام⁽³⁾، وقد كان من دعاة إجراء الحوار الجاد بين الإسلام والنصرانية، وكان دائم التطلع إلى قضايا التجدد والتجديد⁽⁴⁾ كما يظهر من مؤلفاته وأعماله العلمية.

ثالثاً- وفاته وآثاره العلمية⁽⁵⁾: اغتيل الشيخ صبحي الصالح في السابع من تشرين الأول في بيروت عام (1407هـ - 1986 م) وهو في طريقه إلى دار أنشأها لتتوي المشردين والأيتام بعد حياة حافلة بالجد والنشاط والعمل العلمي الجاد.

(1) ينظر: عقد الجواهر، المرعشلي: 2 / 1856.

(2) ينظر: المرجع السابق نفسه، وإتمام الأعلام: 29.

(3) ينظر: إتمام الأعلام: 229، تنمة الأعلام، محمد خير يوسف: 2 / 241، تكملة معجم المؤلفين، محمد خير يوسف: 241 - 242.

(4) ينظر: عقد الجواهر، المرعشلي: 2 / 1856.

(5) ينظر: تنمة الأعلام، محمد خير يوسف: 2 / 242، تكملة معجم المؤلفين، محمد خير يوسف: 242، إتمام الأعلام: 29، عقد الجواهر، المرعشلي: 2 / 1855.

وأما تراثه العلمي: فقد تعمق الشيخ صبحي في مختلف العلوم الإسلامية والدراسات الأدبية واللغوية والحضارية والفلسفية، وعمل في شرح وتحقيق العديد من كتب التراث، وألف باللغة الفرنسية وحاضر بها، وكتب المقالات والأبحاث في شتى الصحف والمجلات، وشارك في إعداد الموسوعات العربية والعالمية من خلال استكتابها له وإرسال البحوث إليها. وقد تميّزت أعماله العلمية بعمق التحليل ودقة الملاحظة وقوة المعالجة، وقد أشاد بمؤلفاته كثيرون ممن اطلعوا عليها منهم الأستاذ عبد القادر الخالد - على ما يذكره المرعشلي في ترجمته له - يقول: ((لم تكن مؤلفات الشيخ الصالح تكراراً لما خاض فيه السلف، أو مسابرة لذي هوى، أو تجميعاً أو توليفاً لما تناثر في بطون أمّهات الكتب، بل كان كل مؤلف يطرحه حدثاً بارزاً وارتجاج بركة ماء راكدة تتداح فيها دوائر الاهتمام والفضول إلى جديد الشيخ الدكتور))⁽¹⁾.

ومنهم الباحث إياد الطباع⁽²⁾ إذ يقول عن بعض كتبه: ((يتميز الشيخ صبحي الصالح رحمه الله بأريحية علمية متفتحة ونفس بحثي جعله مميّزاً عن أقرانه في عصره، وهو ما نلمسه في عدد من تأليفه، فعندما ألف كتابه في ((علوم الحديث ومصطلحه)) لم يكتف بتقديم الكتاب إلى الطلاب جامعاً مادته مما طبع من كتب هذا الفن، بل كان الكثير من مادته قد جمعها من مصادر مخطوطة، ولا سيما مخطوطات المكتبة الظاهرية التي تعد من أغنى المكتبات في العالم في علوم الحديث النبوي...)) وبشأن كتابه: ((دراسات في فقه اللغة)) يقول: "وأما كتابه ((دراسات في فقه اللغة)) فقد كان آية في حسن التأليف بين رصفائه؛ إذ إنك تجده قد ملك ناصية هذا الفن، فكانت مقدمته نقداً لمن كتب في هذا العلم طالبت كبارهم مثل الدكتور إبراهيم أنيس والدكتور علي عبد الواحد وافي والأستاذ محمد المبارك..."⁽³⁾

ويوضح الباحث الشيخ محمود الأرنؤوط⁽⁴⁾ رأيه ورأي والده العلامة الشيخ عبد القادر الأرنؤوط (1425هـ) في المترجم له وفي مؤلفاته - بقوله: "لقد كان العالم الفاضل الأستاذ الدكتور صبحي الصالح من أفاضل العلماء اللبنانيين الذين عرفتهم كلية الآداب في جامعة دمشق، وكان

(1) عقد الجواهر: 2 / 1856.

(2) باحث سوري يعمل في حقل التأليف والتحقيق ومهتم بشؤون التراث.

(3) جواب مكتوب لسؤال وجهته إليه لبيان رأيه في الشيخ صبحي الصالح وفي مؤلفاته، وهو قد التقى عدداً من الأساتذة الجامعيين الذين كانوا طلاباً للدكتور صبحي الصالح في جامعة دمشق.

(4) باحث سوري يعمل في مجال التأليف والتحقيق والتدريس، وله مؤلفات عديدة.

صاحب منهج واضح في التدريس يدعم آراءه بالحجج العلمية البليغة التي تدل على بعد غور في شؤون العلم.....ومن ينظر في مؤلفات الرجل يدرك، ويعلم علم اليقين أيّ توفيق حالفه في أمر التأليف، وعلى الخصوص في كتبه: "علوم الحديث ومصطلحه" و"مباحث في علوم القرآن" و"منهل الواردين شرح رياض الصالحين" التي تتجلى فيها خبرته في علوم القرآن والسنة النبوية المطهرة، وألمعيته في شؤون التأليف بصورة عامة..⁽¹⁾.

وأهم هذه المؤلفات وأشهرها - على الترتيب الألفبائي - وهي كلها مطبوعة:

- الإسلام والمجتمع العصري⁽²⁾.
- الإسلام ومستقبل الحضارة⁽³⁾.
- أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية (751 هـ) تحقيق ودراسة في مجلدين⁽⁴⁾.
- الدار الآخرة في القرآن الكريم (باللغة الفرنسية).
- دراسات في فقه اللغة⁽⁵⁾.
- رد الإسلام على تحديات عصرنا (باللغة الفرنسية).
- شرح الشروط العمرية لابن قيم الجوزية (ت 751 هـ) تحقيق ودراسة⁽⁶⁾.
- علوم الحديث ومصطلحه عرض ودراسة⁽⁷⁾.
- فلسفة الفكر الديني بين الإسلام والمسيحية (بالاشتراك مع الدكتور فريد جبر) في (3) مجلدات⁽⁸⁾.

(1) جواب مكتوب لسؤال وجهته إليه لبيان رأيه ورأي والده -رحمه الله- في الشيخ صبحي الصالح ومؤلفاته، وكان والده عاصر الشيخ صبحي الصالح حين كان يدرس في كلية الآداب في جامعة دمشق.

(2) مطبوع في عام (1979 م).

(3) مطبوع في عام (1982 م)، والطبعة الثانية (1990 م)، دار الشورى، بيروت - لبنان.

(4) الطبعة الثانية في عام (1981 م).

(5) مطبوع في مطبعة جامعة دمشق (1379 هـ / 1960 م)، والطبعة التاسعة (1981 م).

(6) الطبعة الثانية (1981 م).

(7) الطبعة الأولى (1959 م) والطبعة الخامسة عشرة (1984 م). دار العلم للملايين، بيروت - لبنان.

(8) طبع في عام 0 (1967 م).

- مباحث في علوم القرآن⁽¹⁾.
- المرأة في الإسلام⁽²⁾.
- معالم الشريعة الإسلامية⁽³⁾.
- منهل الواردين في شرح رياض الصالحين⁽⁴⁾.
- النظم الإسلامية نشأتها وتطورها⁽⁵⁾.
- نهج البلاغة (ضبط وتحقيق مع شرح جديد) مطبوع⁽⁶⁾ إلى غيرها⁽⁷⁾.

(1) الطبعة الأولى (1958 م)، والطبعة الخامسة عشرة (1983 م)، دار العلم للملايين، بيروت- لبنان.

(2) مطبوع- الطبعة الأولى- في دار العلم للملايين- بيروت لبنان (1970 م)، والطبعة الحادية عشرة في تشرين الأول (1985 م).

(3) الطبعة الثالثة (1980 م).

(4) طبع في عام (1980م).

(5) الطبعة الخامسة في عام (1980).

(6) طبع في عام (1967).

(7) ينظر في سرد مؤلفاته: إتمام الأعلام: 29، تنمة الأعلام: 242/1، تكملة معجم المؤلفين: 242، عقد الجواهر: 1857/2، مجلة كلية الدعوة الإسلامية (محكمة) العدد الثامن سنة (1991م)، بحث: دراسة لكتاب الإسلام ومستقبل الحضارة للدكتور صبحي الصالح، الجفائري: 194 - 195.

المطلب الثاني- التعريف بـ: «مباحث في علوم القرآن» * وعمل مؤلفه فيه:

يعد كتاب ((مباحث في علوم القرآن)) للدكتور صبحي الصالح من الكتب المميّزة في حقل الدراسات القرآنية في العصر الحاضر، وقد لقي قبولاً حسناً، وإقبالاً كبيراً من الباحثين في العلوم الإسلامية وطلاب العلم، وأصبح مقررًا للتدريس في العديد من المعاهد والجامعات الإسلامية؛ ويدل على ذلك- أن الكتاب المذكور طبع خمس عشرة مرة في فترة زمنية قصيرة نسبياً من (1958م)- تاريخ الطبعة الأولى إلى سنة (1983م) تاريخ الطبعة الخامسة عشرة.

وسيتناول الحديث عن هذا الكتاب وعمل مؤلفه فيه الجوانب التالية:

أولاً- دواعي تأليف الكتاب ونشره.

ثانياً- خطة الكتاب وأهم مصادره.

ثالثاً- مكانة الكتاب العلمية في المكتبة الإسلامية.

رابعاً- نماذج من المسائل التي عالجها فيه وتميّر بها.

أولاً- دواعي تأليف الكتاب ونشره:

سبق أن ذكرت أن الدكتور صبحي الصالح درّس في جامعة دمشق، عام (1956م)، وعُهِدَ إليه القيام بإلقاء محاضرات في الدراسات القرآنية على طلاب كلية الآداب؛ فقام بتأليف الكتاب المذكور بما يتناسب مع مستوى طلاب المرحلة الجامعية من التبسيط وتقريب المعلومات إلى أذهان الطلاب، ثم أضاف بعد ذلك في طبعات لاحقة زيادات مهمة، ونقح المباحث السابقة، فخرج الكتاب في ثوب جديد من حيث الصياغة والأسلوب والتقسيم والتبويب، وهذا ما يشير إليه في مقدمة كتابه تحت عنوان: ((كلمة المؤلف في الطبعة الجديدة))، يقول: ((ظهر هذا الكتاب بطبعته الأولى (1958م) ووجد فيه القراء سلسلة من المحاضرات الجامعية تعالج أدقّ المباحث القرآنية بأسلوب علمي بسيط يرضي أذواق الطلاب والباحثين ولا يستعصي فهمه على أوساط المتعلمين فلم يكن عجباً أن تقبلته المكتبات الإسلامية والمعاهد العلمية: الدينية والأدبية بقبول حسن، وأن عملت على نشره بدافع ديني أو باعث علمي...))⁽¹⁾.

* الطبعة التي اعتمدت عليها هي: الطبعة الخامسة عشرة، تشرين الثاني (نوفمبر 1983م)، دار العلم للملايين بيروت - لبنان.

(1) مباحث في علوم القرآن، المقدمة: 5 - 6.

ثم يبين أنّ الكتاب في طبعته الأولى - لم يكن ((يزيد على دروس جامعية لمت - كما يقول - شتاتها مما ألقته خلال عامين على طلاب ((شهادة علوم اللغة العربية)) في كلية الآداب بجامعة دمشق، ولم يكن لي مطمع في هذه الدروس النظرية أوسع من أن تكون في أيدي أولئك الطلاب مفاتيح الدروس العملية في التفسير...))⁽¹⁾ ولذلك فقد صرّح في تقديمه الموجز للطبعة الأولى بأنه توخى في عرض المباحث الموجودة في الكتاب السهولة والإيجاز، ولم يقصد إلى الاستقصاء والاستيعاب، وأنه لم يقم بأكثر من محاولة لتبسيط العلوم الكثيرة المتعلقة بالقرآن، وتقريبها إلى أذهان الباحثين من طلاب الثقافة العربية الإسلامية.

وبعد ذلك يشير إلى الزيادات التي ألحقها بالطبعات اللاحقة⁽²⁾، وأصبح الكتاب بعد هذه الزيادات والتتقيحات كأنه ألف ليكون بحثاً أكاديمياً ينال به صاحبه درجة علمية لما فيه من الحرص على التوثيق وحسن التبويب والتقسيم.

ثانياً - خطة الكتاب ومضمونه وأهم مصادره:

يستحسن - قبل الحديث عن خطة الكتاب ومضمونه - أن يُشار إلى أمرٍ مهم لا بد أن يلحظه كل من يقرأ الكتاب، ويتصفحه بدقه وهو ((المنهجية العلمية)) التي سار عليها المؤلف من حيث التوثيق والعزو والترتيب والتقسيم، وما تتطلبه المباحث من المناهج: التاريخي والتحليلي والنقدي - التي تناولها؛ ذلك لأن من يقوم بتأليف الكتب لتكون مقررات جامعية، أو تطبع وتطرح في الأسواق لا يراعي كثيراً المنهجية العلمية في عرضه لمحتويات كتابه، وإنما يجعل جلاً هماً في جمع المعلومات وسردها ووضعها في الكتاب على الأغلب - وهذا ما يلتمسه المطلع على كثير من المقررات الجامعية في كليات عديدة من الجامعات العربية والإسلامية.

وقد أشار الدكتور صبحي الصالح إلى ذلك في مقدمة الكتاب، فقال - بعد أن ألمح إلى الزيادات التي ألحقها بالكتاب وتفتيح بعض العبارات وتهذيبها - : ((.. فقد نهجت في تبويب هذه « المباحث » نهجاً أرجو أن يجده القارئ طريقاً مبتكراً، إذ جعلتها على أربعة أبواب تترادف هي وفصولها - على رسلها - ترادفاً متسلسلاً منطقياً، وتندرج خلال تعاقبها كل مسألة قرآنية لا يسع جهلها أحداً من العرب والمسلمين..))⁽³⁾ إلى غير ذلك مما ذكره في شرح خطته التي سار عليها ومنهجه العلمي الذي اتبعه⁽⁴⁾.

(1) مباحث في علوم القرآن، المقدمة: 5 - 6.

(2) ينظر: المصدر السابق نفسه.

(3) المصدر السابق نفسه، كلمة المؤلف في الطبعة الجديدة: 6.

(4) ينظر: المصدر السابق نفسه، كلمة المؤلف في الطبعة الجديدة: 5 - 8.

ومن هنا يمكن القول:

إن مؤلف الكتاب المذكور عالج الموضوعات التي تطرق إليها وفق خطة بحث متكاملة، مرتبة ترتيباً منطقياً تقتضيه طبيعة البحث وموضوعه، فقد قسم كتابه إلى أربعة أبواب وخاتمة وألحق بآخر الكتاب جريدة المراجع باللغة العربية واللغة الأجنبية مع مسرد للأعلام (الأشخاص فقط) وفهرس لموضوعات الكتاب.

أفرد الباب الأول⁽¹⁾ - بفصوله الثلاثة - للقرآن والوحي، فذكر في الفصل الأول أسماء القرآن وموارد اشتقاقها، وأسهب في الفصل الثاني - في تفسير ظاهرة الوحي؛ لأنها - كما ذكر - توطئة طبيعية بين يدي هذه الدراسة القرآنية، وفي الفصل الثالث - أطل الوقوف عند الحديث عن تنجيم القرآن وأسواره وحكمه، وأتى فيه بأفكار قيمة في ما يتعلق بالتدرج في التعاليم.

وانتقل في الباب الثاني⁽²⁾ إلى الحديث عن تاريخ القرآن من خلال ثلاثة فصول، تناول في الفصل الأول الحديث عن جمع القرآن وكتابه بإسهاب، وردّ على كثير من شبهات المستشرقين والمستعجمين.

وتكلّم في الفصل الثاني عن المصاحف العثمانية، وما طرأ عليها من وجوه التحسين والتجويد، وأضاف بعض التحقيقات الجديدة التي انتهى إليها في نشأة الرسم القرآني وتطوره.

وناقش في الفصل الثالث موضوع الأحرف السبعة كما نطقت بها أصحّ الوثائق التاريخية، وأثار فيها بعض القضايا الخطيرة التي ينبغي أن يطلع عليها علماء الإسلام ليلبوا خيرها وشرها - حسب رأيه -، وأطل النفس في الباب الثالث⁽³⁾ الذي عنون له ((علوم القرآن))، وعالج موضوعاته من خلال ثمانية فصول، واستغرق أكثر من نصف الكتاب؛ لأن عنوان الكتاب ((مباحث في علوم القرآن))، فكان من الطبيعي أن تدور فصوله حول العلوم القرآنية الصميمة بروح في البحث جديد - على حد قوله -، ويذكر الشيخ صبحي الصالح في حديثه عن الباب الثالث⁽⁴⁾ - أن هذا الباب قد امتاز ((بكثير من التحقيقات الطريفة والزيادات الشافية الكافية التي سيقدّر لها حق قدرها كل من تيسر له أن يقرأ في أولى طبعاته ..))⁽⁵⁾.

(1) من: 15 - 62.

(2) من: 63 - 116.

(3) من: 117 - 286.

(4) من: 117 - 286.

(5) ينظر - كلمة المؤلف في الطبعة الجديدة من الكتاب - : 6 - 7.

ذكر في الفصل الأول - لمحة تاريخية عن علوم القرآن، ووقف في الفصل الثاني عند مبحث ((علم أسباب النزول)) وحلّل وناقش، وفي الفصل الثالث تحدث عن علم المكي والمدني، وفصل في الحديث عن سمات القرآن المكي والمدني الأسلوبية والموضوعية، وذكر نماذج من الآيات القرآنية للتدليل على ما يقول.

وفي الفصل الرابع ذكر لمحة خاطفة عن فواتح السور وما قيل فيها، وانتقل في الفصل الخامس إلى الحديث عن ((علم القراءات ولمحة عن القراء))، وفي الفصل السادس أطال الوقوف عند ((علم الناسخ والمنسوخ))، وذكر أقوال العلماء، وحلّلها، وناقشها، واختار ما رآه صواباً. وتناول في الفصل السابع علم الرسم القرآني، وختم الباب بالفصل الثامن، وعنوانه:

((علم المحكم والمتشابه)) غير أنه لم يسهب في الحديث عنه كما كان شأنه في بقية فصول الكتاب.

وخصص الباب الرابع⁽¹⁾ بالحديث عن ((التفسير والإعجاز)) من خلال أربعة فصول - تتبع في الفصل الأول نشأة التفسير وتطوّره، وأوضح في الفصل الثاني كيفية تفسير القرآن بالقرآن، وفي الفصل الثالث تحدث عن إعجاز القرآن، فأشار إلى ما ذكره القدماء والمعاصرون من أبحاث متعلقة بالإعجاز، وخصص الفصل الرابع والأخير من الباب الرابع بالحديث عن ((الإعجاز في نغم القرآن))، وردّ سحر القرآن بالمقام الأول - على حد قوله - إلى إيقاعه الداخلي في نسقه الذي يجمع بين مزايا النثر والشعر جميعاً متابعاً في ذلك سيد قطب صاحب ((التصوير الفني في القرآن))، وفي الخاتمة⁽²⁾ لخص أهم النتائج التي توصل إليها من خلال الأبواب والفصول التي عالج في ثناياها موضوعات وأبحاث الكتاب، فذكر أن هذا هو القرآن... إنه وحي يوحى، تنزيل ينتزل، حظي باهتمام العلماء وعنايتهم بما لم يحظ به أي كتاب آخر، إنه كتاب مجيد ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت: 42].

وأما مصادر الكتاب فهي متنوعة الفنون وكثيرة العدد، فقد ذكر في ((جريدة المراجع))⁽³⁾ ما يزيد على تسعين مرجعاً باللغة العربية، بالإضافة إلى عدد من المراجع الأجنبية - جمع فيها بين القديم والمعاصر، واختارها من علوم مختلفة كعلم التفسير وعلوم القرآن، وعلوم الحديث، وعلم

(1) من: 287 - 340.

(2) من 341 - 345.

(3) من 346 - 382.

التوحيد، وقد ألمح إلى ما استعان به من آثار العلماء القدامى وكتب المعاصرين، فقال: ((إنما حاولت بهذا الكتاب تبسيط طائفة من أمهات المسائل القرآنية قبستها غالباً من آثار علمائنا الأبرار القدامى غير متجاهل أطرف ما جاء به بعض الأتقياء من المعاصرين..))⁽¹⁾.

ومن أهم المراجع التي رجع إليها:

- البرهان في علوم القرآن⁽²⁾: للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (794 هـ) جمع فيه صاحبه زبدة ما صنف قبله وأضاف عليها، وحقق مسائل كثيرة وجعلها في سبعة وأربعين نوعاً أعطى كل نوع حقه من البحث والدرس والبيان⁽³⁾، وهو كتاب مطبوع ومحقق.

- الإتقان في علوم القرآن⁽⁴⁾: للإمام الحافظ أبي بكر جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (911 هـ) وهو من أجمع ما صنف في هذا الباب - أفاد من مؤلفات السابقين وخاصة ((البرهان)) وزاد عليه، وتناول علوم القرآن الكريم وما يلحق بها في ثمانين نوعاً وطبع الكتاب عدة طبعات⁽⁵⁾.

- مناهل العرفان في علوم القرآن⁽⁶⁾: للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني (1367 هـ - 1948 م) أحد علماء الأزهر المعاصرين تناول فيه تاريخ علوم القرآن، وبعض المباحث المتعلقة بالقرآن، ورد على الشبهات التي أُثيرت حول بعضها بأسلوب علمي رصين⁽⁷⁾ وهو مطبوع.

- التصوير الفني في القرآن⁽⁸⁾ لسيد قطب (1387 هـ - 1966 م) الذي درس فيه مؤلفه بلاغة القرآن وسحره وطبع في القاهرة (1949 م).

(1) ينظر: المقدمة: 9.

(2) ينظر: 19 في البحث عن أسماء القرآن وموارد اشتقاقها، 36 في الحديث عن ظاهرة الوحي، 290 في البحث عن التفسير ونشأته إلى غيرها من الصفحات.

(3) ينظر: البرهان: 1 / 9، لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، د. محمد عجاج الخطيب: 142 - 143.

(4) ينظر: مباحث في علوم القرآن: 36، 50، 51، 134، 240 وغيرها.

(5) ينظر: لمحات في المكتبة والبحث والمصادر: 143.

(6) ينظر: مباحث في علوم القرآن: 68، 69، 86، 95، 263 وغيرها.

(7) ينظر: مناهل العرفان، المقدمة 8/1 وما بعدها، لمحات في المكتبة والبحث والمصادر: 144.

(8) ينظر: مباحث في علوم القرآن: 162، 320، 334 وغيرها.

- الظاهرة القرآنية⁽¹⁾ لمالك بن نبي (1393هـ - 1973م) من كبار المفكرين الجزائريين المعاصرين، ترجمة: عبد الصبور شاهين، اهتم فيه مؤلفه بتحقيق منهج تحليلي في دراسة الظاهرة القرآنية، وهو مطبوع.

- النبأ العظيم (نظرات جديدة في القرآن)⁽²⁾ للدكتور محمد عبد الله دراز (1377هـ - 1958م)، وهو كتاب قيم طبع عدة مرات. إلى غيرها من المراجع في التفسير والقراءات والحديث والتوحيد.

ثالثاً- مكانة الكتاب العلمية في المكتبة الإسلامية:

إنّ من يقرأ مؤلفات الدكتور صبحي الصالح عموماً- يجد أنها تجمع بين منهجية علمية صارمة ودقة فائقة في معالجته لموضوعات كتبه، وتنم على ثقافة علمية موسوعية في العلوم التي تناولها. وإذا كان هذا الكلام يصدق على معظم مؤلفاته، فإنه يصدق على كتابه ((مباحث في علوم القرآن)) بأجلى صورته. ولعلّ أهم ما يمتاز به عمل الشيخ الصالح في هذا الكتاب هو أنه:

- عرض فيه أهم مسائل علوم القرآن عرضاً علمياً جيداً⁽³⁾، وأسهب في معالجة كثير منها بأسلوب علمي جذاب جميع فيه بين التحقيق العلمي الباهر والتحليل النقدي الرائع.

- أحسن الإفادة من آثار العلماء السابقين، وما كتبه العلماء المعاصرون في المسائل التي تناولها.

- سلّط الضوء على بعض المسائل المتعلقة بعلوم القرآن كما في أبحاث: الناسخ والمنسوخ، وأسباب النزول، والمكي والمدني، ودعا إلى الاهتمام بالتفسير البياني بل بوجود الاشتغال به في جميع الكليات الشرعية العالية والثانوية.

- لم يكتف بالنقل من المراجع والمصادر على عادة بعض الباحثين والمؤلفين- وإنما يتناول ما ينقله بالنقد والتحليل والمناقشة والترجيح مع التدليل على ما يذهب إليه.

(1) ينظر: مباحث في علوم القرآن: 26، 33 وغيرها.

(2) ينظر: المصدر السابق نفسه: 27، 28، 31، 38، 40 وغيرها.

(3) ينظر: لمحات في المكتبة والبحث والمصادر: 145.

- ردّ على الأوهام والشبه التي أثارها بعض المغرضين حول القرآن وعلومه كالمستشرقين ومن سار على نهجهم بأسلوب علمي مكين ورصين.

- ذكر في هوامش الكتاب تعليقات مفيدة وتحقيقات رائعة في مسائل عديدة من مسائل علوم القرآن.

لهذه المزايا ذاع صيت الكتاب، واشتهر في أوساط العلماء وطلاب العلم، وأشادوا به⁽¹⁾، وأصبح مرجعاً للكثير من الباحثين الذين كتبوا في علوم القرآن، ومقررراً من مقررات التدريس - كما سبق - في المعاهد والجامعات.

ولعلّه من المناسب أن أشير إلى بعض الكتب المطبوعة التي كان الكتاب المذكور مرجعاً لها، منها:

- إتقان البرهان في علوم القرآن، للأستاذ الدكتور فضل حسن عباس.
- أسباب اختلاف المفسرين في تفسير آيات الأحكام، للدكتور عبد الإله الحوري.
- في تاريخ القرآن وعلومه، للدكتور محمد الدسوقي.
- بحوث في علوم القرآن وعلومه، الدكتور محمد نبيل غنايم.
- مباحث في علوم القرآن، للشيخ مناع القطان. وغيرها

(1) من الذين أشادوا بالكتاب - على الجملة - الأستاذ الدكتور نورالدين عتر أستاذ التفسير والحديث في كلية الشريعة في جامعة دمشق. وكان ذلك في جلسة علمية في مدينة دمشق.

رابعاً- نماذج من المسائل التي تميّز في معالجته لها في الكتاب:

اقتحم الدكتور صبحي الصالح غمار التأليف بعقلية متفتحة وقدرات علمية ناضجة، رأى من خلالها أنّ الأوائل تركوا للأواخر الكثير مما يمكن الكتابة فيه وخوض غماره مخالفاً بذلك الذين يرون أنّ الأوائل لم يتركوا شيئاً لمن بعدهم كما في القول الذي يتردد أحياناً على ألسنة بعضهم : ((ما ترك الأول للأخر شيئاً))، بل هو من أنصار القائلين ((كم ترك الأول للأخر))، وهذا ما أشار إليه في مقدمة كتابه: ((علوم الحديث ومصطلحه عرض ودراسة))⁽¹⁾.

فقال: ((ويخيل إلى كثير من الناس أنّ هذا اللون من الدراسة [علوم الحديث وعلوم القرآن] سهل ميسر وأنّ طريقه آمن معبّد، وأنّ الأقدام فيه ثابتة لا تزل؛ لأنّ علماءنا السالفين الأبرار مهّدوه كلّ ممهد، وما تركوا لأمثالنا شيئاً نزيده فما علينا إلا أن نغترف من بحرهم قانعين بتلخيص تصانيفهم وأقوالهم...))، وأضاف بعد ذلك قائلاً: ((نرى لزاماً أن نبادر إلى تصحيح هذا الخطأ الشائع جازمين بأن هذا اللون من الدراسة أشدّ وعورة وأحوج إلى طول الجهد والعناء من تحقيق النصوص ونشر المخطوطات؛ لأنّه يجمع في آن واحد بين التأليف والتحقيق، ويحاول إحكام الربط بين النتائج القديم والمنهج الجديد))، وأشار إلى هذا المعنى في كتابه: ((مباحث في علوم القرآن))⁽²⁾ بأسلوب آخر قائلاً: ((ولو اكتفينا بذلك [الوقف عندما انتهى إليه القدماء] لما وسعنا أن نكشف النقاب عن وجه القرآن الساحر الجذاب؛ فإنّ منهج الدراسة القديمة لا يكافيء ما ينبغي لكتاب الله من تفحص كلّ جانب من جوانبه التي قامت حولها المدارس والمذاهب والآراء ...)) إلى آخر ما قال في هذا المجال.

ومن هنا فقد استعرض أقوال القدامى بإسهاب في المسائل التي تناولها، وحلّ لها، وناقشها، ورجّح بينها، واختار منها ما رآه صواباً أو مقدماً على غيره.

(1) صفحة: ط.

(2) 10

ومن نماذج المسائل التي تطرّق إليها:

النموذج الأول: "أسماء القرآن وموارد اشتقاقها".

ففي حديثه عن ((أسماء القرآن وموارد اشتقاقها))⁽¹⁾ - أسهب في استعراض أقوال العلماء

في بيان معنى لفظ ((القرآن)) واشتقاقه في اللغة، فذكر أن العلماء ذهبوا « في لفظ القرآن » مذاهب، فهو عند بعضهم مهموز، وعند بعضهم الآخر غير مهموز⁽²⁾ وبعد أن عرض لأقوالهم، رجح قول أبي الحسن علي بن حازم اللحياني (215هـ) في أن ((القرآن)) مصدر مهموز بوزن ((الغفران))، مشتق من ((قرأ)) بمعنى تلا، وسمي به المقروء تسمية للمفعول بالمصدر، فقال: ((.. والأخير [قول اللحياني] أقوى الآراء وأرجحها، فالقرآن في اللغة مصدر مرادف للقراءة، ومنه قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿ [القيامة: 17-18] ...))⁽³⁾ ثم ذكر أنّ ((قرأ)) بمعنى ((تلا)) أخذها العرب من الآرامية وتداولوها ذهاباً منه إلى أن العرب في الجاهلية ((حين عرفوا لفظ ((قرأ)) استخدموه بمعنى غير معنى التلاوة، فكانوا يقولون:

هذه الناقة لم تقرأ سَلَى قَطَّ، يقصدون أنها لم تحمل ملقوحاً ولم تلد ولداً. ومنه قول عمرو بن كلثوم: هجانُ اللون لم تقرأ جنينا...))⁽⁴⁾.

وقد انتصر لهذا الرأي معتمداً على عدد من المستشرقين الذين أشاروا إلى ذلك، فقال: ((أما قرأ بمعنى ((تلا))، فقد أخذها العرب من أصل آرامي، وتداولوها. فمن المعروف كما يقول برجستراسر / G.Bergstraesser أن اللغات الآرامية والحبشية والفارسية تركت في العربية آثاراً لا تنكر؛ لأنها كانت لغات الأقاليم المتمدينة المجاورة للعرب في القرون السابقة للهجرة))⁽⁵⁾، وأضاف: ((وما لنا نستغرب هذا ولا نصدق، ونحن نعلم أن لهجات الآرامية المختلفة كانت تسود كل بلاد

(1) في الفصل الأول من الباب الأول: 17 - 21.

(2) مباحث في علوم القرآن: 18 فما بعدها.

(3) المصدر السابق نفسه: 19.

(4) مباحث في علوم القرآن: 9، وينظر لسان العرب، ((قرأ)) 1 / 132، وشرح المعلقات السبع، للزوزني: 96، والمعلقات العشر دراسة نصوص، فوزي عطوي: 115. وصدر البيت: ذراعي عَيْطَلٍ أو ماء بَكَرٍ.... هجانُ اللون لم تقرأ جنينا. للشاعر عمرو بن كلثوم التغلبي من أصحاب المعلقات، والبيت من معلقته المشهورة يذكر فيها أيام بني تغلب ويفتخر بهم.

(5) مباحث في علوم القرآن: 19 - 20.

فلسطين وسورية وبين النهرين وبعض العراق، ونعلم أيضاً أن جوار العرب لليهود الذين كانت لغتهم الدينية الآرامية عجل في انتشار كثير من الألفاظ الدينية الآرامية..⁽¹⁾، ثم ذكر أسماء بعض المستشرقين الذين أشاروا إلى ذلك، وساق طائفة من الكلمات التي قيل عنها: إنها آرامية وسريانية وعبرية استعملها العرب من أثر الجوار مع اليهود وسواهم من أصحاب الملل، وذكر منها ((قرأ، كتب، كتاب، تفسير، تلميذ، فرقان، قيوم، زنديق))، ورأى أن هذا الذي ذهب إليه لا ينافي كون القرآن منزلاً باللغة العربية من أوله إلى آخره قائلاً: ((ومهما يكن من شيء فإن تداول العرب قبل الإسلام للفظ (قرأ) الآرامي الأصل بمعنى ((تلا)) كان كافياً لتعريبه واستعمال الإسلام له في تسمية كتابه الكريم))⁽²⁾. وهذا الكلام منه ينطبق على كل الألفاظ التي قيل عنها: إنها معربة.

ومن المعلوم لدى الباحثين في الدراسات القرآنية أنّ هذه المسألة خلافية⁽³⁾ وقد تعددت فيها أقوال العلماء فهناك من خالف الرأي القائل بأن هذه الألفاظ أصولها غير عربية قديماً وحديثاً- فمن القدماء⁽⁴⁾ الإمام محمد بن إدريس الشافعي (204هـ) ومحمد بن جرير الطبري (310هـ) وأبو عبيدة معمر بن المثنى (209هـ)، ومن المعاصرين⁽⁵⁾ الشيخ الدكتور فضل حسن عباس فهؤلاء على عدم وقوع شيء من غير لغة العرب في القرآن لقوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [يوسف: 2]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾ [فصلت: 44].

ونُقِلَ عن أبي عبيد القاسم بن سلام (224هـ) أنه حكى الخلاف في ذلك ونسب القول بوقوعه إلى الفقهاء والمنع إلى أهل العربية، ثم قال: ((والصواب عندي مذهب فيه تصديق القولين جميعاً، وذلك أن هذه الأحرف أصولها أعجمية كما قال الفقهاء إلا أنها سقطت إلى العرب فعربتها بألسنتها،

(1) المصدر السابق نفسه.

(2) مباحث في علوم القرآن: 19-20. وانظر - مايقوله الأستاذ الدكتور نورالدين عتر - في كتابه: القرآن الكريم والدراسات الأدبية: 8-9.

(3) ينظر: البرهان في علوم القرآن: 287/1 - 290 (النوع السابع عشر: معرفة ما فيه من غير لغة العرب)، الإتيقان في علوم القرآن: 105/2 - 120 (النوع الثامن والثلاثون: فيما وقع بغير لغة العرب)، علوم القرآن الكريم للأستاذ الدكتور عتر: 259 - 261 وغيرها.

(4) ينظر: الرسالة: 41 - 42، تفسير الطبري، المقدمة: 1 / 6، الصحابي في فقه اللغة، أحمد بن فارس: 28 - 30.

(5) ينظر: قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية (نقد مطاعن ورد شبهات): 25-30، دراسات في علوم القرآن (رؤية جديدة)، د. أحمد ياسوف: 47 - 49.

وحولتها عن ألفاظ العجم إلى ألفاظها، فصارت عربية ثم نزل القرآن... فمن قال إنها عربية فهو صادق، ومن قال أعجمية فصادق ((¹).

ويمكن القول: إن رأي الشيخ صبحي الصالح⁽²⁾ يتفق مع هذا الرأي، وهو الذي اختاره المحققون من العلماء للتوفيق بين الرأيين المتقابلين⁽³⁾.

النموذج الثالث : ظاهرة الوحي.

وما ذكره في حديثه عن ((ظاهرة الوحي))⁽⁴⁾ في تعريفه للوحي ومعالجته لهذه الظاهرة من التأكيد على تماثل ظاهرة الوحي عند جميع الأنبياء؛ لأن مصدرها واحد؛ وغايتها واحدة كما قال - تعالى - : ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ... ﴾ [النساء: 163 - 164] وفي سوقه للمعاني اللغوية للوحي وصور الوحي وكيفياته - حاول أن يردّ على كل من أراد أن يجرّد الوحي الإلهي لأنبيائه مما يميزه عن غيره من صور الإلهام والوحي النفسي واللاشعور وغيرها، فقد ردّ على ما ورد في قاموس الكتاب المقدس بقوله: ((ولقد يكون مؤسفاً لنا - بعد أن استهوتنا الفكرة القرآنية التي تؤكد اتحاد مفهوم الوحي عند الأنبياء جميعاً - أن نقع في قاموس ((الكتاب المقدس)) على تفسير للوحي يختلف اختلافاً جوهرياً عن تفسيره الجامع الموحد، إذ الوحي في هذا القاموس: ((هو حلول روح الله في روح الكتاب الملهمين لاطلاعهم على الحقائق الروحية والأخبار الغيبية من غير أن يفقد هؤلاء الكتاب بالوحي شيئاً من شخصياتهم فلكل منهم نمطه في التأليف وأسلوبه في التعبير))⁽⁵⁾، ثم بين أن هذا التعريف هو أقرب ما يكون إلى مدلول الكشف الذي عرفت البشرية ألوناً صافية لدى الشعراء الملهمين والعارفين وألوناً (عكّره كدرة) لدى الكهان والعارفين.

وأقصى عن ظاهرة الوحي الإلهي كلّ الألفاظ والمصطلحات التي تعكر صفو هذه الظاهرة، وتبعدها عن معناها الحقيقي في حق الأنبياء والرسل ((كالكشف والإلهام والحدس الباطني والشعور الداخلي (أو اللاشعور) مبيناً أن ((طبيعة الحقائق الدينية والأخبار الغيبية في ظاهرة الوحي تأبى

(1) على ما نقله عنه ابن فارس في الصحابي: 29. ينظر: البرهان: 1 / 29، الإتيان: 108/2.

(2) قارن ما ذكره الشيخ صبحي بما ذكره ابن عطية المفسر (548هـ) في مقدمة تفسيره في: مقدمتان في علوم القرآن، مقدمه ابن عطية لتفسيره المسمى المحرر الوجيز: 276.

(3) ينظر: البرهان في علوم القرآن: 1 / 290 الإتيان في علوم القرآن: 108/2، علوم القرآن الكريم: 260-261.

(4) ينظر: الفصل الثاني من الباب الأول: 22 وما بعدها.

(5) مباحث في علوم القرآن: 25.

الخضوع لهذه الأساليب ((اللاشعورية)) التي تستشف حجاب المجهول بالفراسة الذكية الخفية والحدس الباطني السريع مثلما تأبى الخضوع لمقاييس الحس الظاهرة التي تخترق حرمان المجهول بالأدلة المنطقية والاستنباط المتروكي البطيء))⁽¹⁾.

ومن هنا فقد خالف الشيخ محمد عبده في تعريفه للوحي - قائلاً - تعليقاً في الهامش - : ((لذلك لا نتفق مع الإمام محمد عبده حين جعل الإلهام وجداناً تستيقنه النفس..))⁽²⁾.

وبعد هذا التحليل العميق والمعالجة الشائقة والرد على كل التصورات المخالفة لمضمون الوحي وكيفياته - خلص إلى أن ظاهرة الوحي ((تخضع لتصور حوار علوي بين ذاتين: ذات متكلمة آمرة معطية وذات مخاطبة مأمورة متلقية))⁽³⁾.

ثم ساق عدداً كبيراً من الأدلة الحديثية التي تصف ظاهرة الوحي والأدلة القرآنية لتقوية ما ذهب إليه، وردّ على بعض الشبهات التي أثّرت حول الموحى به قديماً وحديثاً، معتمداً على ما كتب في هذا المجال من قبل السابقين عليه قدماء ومعاصرين⁽⁴⁾.

النموذج الثالث: تنجيم القرآن وأسراره.

وفي الفصل الخاص بتنجيم القرآن وأسراره⁽⁵⁾ يتحدث عن نزول القرآن منجماً بحسب الحاجة خمس آيات وعشر آيات وأكثر وأقل - على حد قوله - وتدرجه مع الأحداث والوقائع والمناسبات الفردية والاجتماعية التي تعاقبت في حياة الرسول ﷺ في الفترة المكية والمدنية، ثم يشير إلى قول أبي عمرو عامر بن شراحيل الشعبي (109 هـ) بأنه ((قد بدأ نزول القرآن في ليلة القدر، ثم نزل بعد ذلك منجماً في أوقات مختلفة من سائر الأوقات)) مصوباً له وموجهاً بقوله: ((والشعبي يجمع في هذا الرأي بين قوله تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ﴾ [القدر: 1] وقوله: ﴿ وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ ﴾ [الإسراء: 106] وهو فهم سديد لا يتضارب مع إخبار الله بإنزال كتابه في ليلة مباركة وفي شهر رمضان؛ إذ يكون المراد أنه تعالى ابتداء إنزاله في ﴿ لَيْلَةَ مُبَارَكَةٍ ﴾ [الدخان: 3] ووصف هذه الليلة

(1) مباحث في علوم القرآن: 27 وقارن بما ورد في النبأ العظيم، دراز: 34.

(2) مباحث في علوم القرآن: 26، وانظر: رسالة التوحيد، محمد عبده: 108.

(3) مباحث في علوم القرآن: 27، وانظر: من روائع القرآن، أ.د. البوطي: 34.

(4) انظر: الإقتان: 1 / 128، مدخل إلى القرآن الكريم، د. محمد عبد الله دراز: 126 وما بعد، الظاهرة القرآنية:

139.

(5) الفصل الثالث من الباب الأول: 49 - 62.

بأنها ليلة القدر وهي إحدى ليالي رمضان كما في قوله: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ ﴾ [البقرة: 185]، ثم استمرَّ نزوله نجومًا بعد ذلك متدرجًا مع الوقائع و الأحداث ((¹)، ويُظهر عدم ميله إلى الرأي القائل: إن للقرآن تنزلات ثلاثة، الأول: إلى اللوح المحفوظ، والثاني: إلى بيت العزة في السماء الدنيا، والثالث: تفرقه منجماً بحسب الحوادث ؛ معللاً موقفه ذلك ((بأن هذه التنزلات المذكورة من عالم الغيب الذي لا يؤخذ فيه إلا بما تواتر يقيناً في الكتاب والسنة. فصحة الأسانيد في هذا القول لا تكفي وحدها لوجوب اعتقاده فكيف وقد نطق القرآن بخلافه! إن كتاب الله لم يصرح إلا بتفريق الوحي وتجييمه...))⁽²⁾ ثم ينتقل إلى الحديث عن حكم وأسرار نزول القرآن منجماً.

ومن أطرف ما ذكره في هذا المجال - أنه أوضح أن الإسلام ((فرَّق بين الأعماق والسطحيات في أنفس الأفراد والمجتمعات؛ فكل قضية عميقة الجذور في نفس الفرد اتخذت شكل عادة شعورية، وكل قضية عميقة الجذور في نفس المجتمع اتخذت شكل تقليد اجتماعي أو عرف دولي فلا إسلام فيها موقف المتمهل المترث الذي يؤمن بأن البطء مع التنظيم خير من العجلة مع الفوضى))⁽³⁾ ومقابل ذلك، فكل ((قضية سطحية تنزلق إلى نفس الفرد أو إلى نفس الجماعة فتفسد عليها فطرتها الزكية النَّفِيَّة؛ فهي جَرِيمة في الحياة الإنسانية لا يجوز السكوت عنها فليقطع الإسلام فيها برأيه ولتكن حدوده فيها غير قابلة للنقاش ..))⁽⁴⁾ ثم أوضح نظرة الإسلام إلى الأمور التي قام بتحريمها في ضوء هذه التفرقة بين الأعماق والسطحيات في الأنفس والآفاق وفي الأفراد والمجتمعات، فذكر أن القتل والسرقة والزنى والغصب وأكل أموال الناس بالباطل ومختلف ضروب الغش حرَّمها الإسلام مرةً واحدة تحريماً قاطعاً لا تساهل فيه، وأن ما ورد من أن تحريم أكثرها من الكتاب جاء متأخراً في المدينة بعد هجرة الرسول ﷺ إليها لا يسوغ القول على وجه الإطلاق والتعميم بتدرج التحريم على مراحل في هذه الشؤون وعدَّ ذلك من قبيل ((تأخير البيان لوقت الحاجة)).

وأما التدرج فإنه يكون في النوازل القرآنية في مثل الخمر والميسر من العادات الشعورية أو الأمراض النفسية إلى غيرها⁽⁵⁾. وختم الشيخ حديثه عن التدرج في التشريع بالإشارة إلى أن في تدرج

(1) مباحث في علوم القرآن: 50 - 51.

(2) المصدر السابق: 51 قارن بما ورد في مناهل العرفان: 1 / 67 - 71 حيث أثبت الاحتجاج على الأخذ بهذا القول بما روي عن ابن عباس - رضي الله عنهما - من الآثار.

(3) مباحث في علوم القرآن: 57 وما بعدها.

(4) مباحث في علوم القرآن: 57 وما بعدها.

(5) ينظر مباحث في علوم القرآن 59 وما بعدها.

نزوله برهاناً قاطعاً على أنه من عند الله سبحانه وتعالى - قائلاً: ((وبعد... لئن كان تصوير الوحي لشخص الرسول دليلاً وجدانياً على صدقه ﷺ، لعمرى إنّه في تدرج نزوله برهان منطقي دامغ على أنّ هذا الكتاب المجيد كلام الله العليم الحكيم أنزله على رسوله هدى وموعظة وتبيناً لكل شيء))⁽¹⁾.

النموذج الرابع: جمع القرآن وكتابته.

وفي حديثه عن ((جمع القرآن وكتابته))⁽²⁾ أفاض في الكلام عن كلّ ما له علاقة بالبحث، ولعل أهم الأمور التي يمكن الإشارة إليها في معالجته لهذه المسألة:

- رده على المستشرق ((بلاشير / Blachere)) في حصره عدد حفاظ القرآن في سبعة⁽³⁾ من الحفاظ اعتماداً على بعض الروايات التي وردت بصيغة الحصر دون محاولة منه التعرف على ما قيل في شأن الحصر الوارد فيها، يقول - في حديثه - عن الحفاظ: ((ولو أخذنا بظاهر الروايات التي يذكرها البخاري في ((صحيحه)) لحسبنا أن عدد الحفاظ على عهد رسول الله ﷺ لا يزيد على السبعة، وهؤلاء السبعة أنفسهم لا تسرد أسماءهم متعاقبة في رواية واحدة في ((الصحيح))، وإنما تجمع من ثلاث روايات⁽⁴⁾ فيه مع ترك الأسماء المكررة، ولذلك يطلق المستشرق ((بلاشير)) الحكم: بأن الحديث النبوي لا يعرف للقرآن إلا سبعة من الحفاظ⁽⁵⁾، ثم يردُّ عليه مبيناً أن حكمه هذا لم يكن دقيقاً لأنه صدر من دون إحاطة بما ذكره العلماء المتخصصون في هذا المجال، فيقول: ((وبفوته ما علّق به العلماء على هذه الروايات مستبعدين صيغة الحصر و مؤولين ما جاء فيها

(1) المصدر السابق: 62.

(2) في الفصل الأول من الباب الثاني وهو بعنوان: تاريخ القرآن: 65 فما بعدها.

(3) وهؤلاء السبعة هم - كما ورد في الهامش (1) من الصفحة: 66 من الكتاب - عبد الله بن مسعود، سالم بن معقل مولى أبي حذيفة، ومعاذ بن جبل، وأبي بن كعب، وزيد بن ثابت، وأبو زيد بن السكن، وأبو الدرداء. وبعد ذكره لهؤلاء يشير إلى أنّ بلاشير نفسه يذكر في موضع آخر اسماً من أسماء هؤلاء الحفظه غير المذكورين وهو سعيد بن عبيد، ويشير إلى أنه كان يلقب بالقارئ.

(4) الروايات الثلاث عن البخاري هي:

الأولى: عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت النبي ﷺ يقول: { خذوا القرآن من أربعة من عبد الله ابن مسعود، وسالم، ومعاذ، وأبي كعب } (4713).

الثانية: عن قتادة، قال: سألت أنس بن مالك: من جمع القرآن على عهد النبي ﷺ ؟ فقال: أربعة كلهم من الأنصار: أبي بن كعب، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد. قلت: من أبو زيد ؟ قال: أحد عمومتي (4717).

والثالثة: عن أنس بن مالك، قال: مات النبي ﷺ ولم يجمع القرآن غير أربعة: ((أبو الدرداء، ومعاذ بن جبل، وزيد بن ثابت، وأبو زيد)) (4718)، صحيح الإمام البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم. وذكر هذه الروايات الإمام السيوطي في ((الإتقان: 1 / 199، النوع العشرون في معرفة حفاظه ورواته)) وذكرها الشيخ صبحي الصالح في هامش (2) من صفحة (65).

(5) مباحث في علوم القرآن: 65 - 66.

تأويلاً سائغاً مقبولاً⁽¹⁾، ثم يذكر أقوال العلماء في ذلك ويتحدث عن بعض العوامل التي شجعت الصحابة على حفظ القرآن مما يدل على أن عدد الذين كانوا يحفظون القرآن كثير بدلالة ما ذكره مصنفو طبقات القراء.

- وردّه عليه وعلى غيره من المستشرقين الذين زعموا أن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه في ما قام به من جمع القرآن ونسخ المصاحف وفق قواعد محكمة وإرسالها إلى الأقطار⁽²⁾ - إنما سعى إلى تحقيق هذا العمل العظيم بدافع من نزعته ((الارستقراطية)) المكية التي كان خير ممثل لها - على حد قولهم - فيقول - في ردّ ذلك: ((لا مستند لهم في شيء من هذا إلا خيالهم الخصب وظنهم الكاذب، وإلا فأين الرواية التاريخية الصحيحة التي تثبت دعواهم؟ وهل يفضل عاقل الأخذ بتخرصاتهم على ما أورده رجل كالبخاري ما عرف التاريخ من يضارعه في الثقة والضبط والأمانة))⁽⁴⁾ وفي الهامش يعلق على الشبهة قائلاً: ((وهنا يذهب الخيال الخصب ببلاشير كل مذهب؛ فيسرف في وصف الرهط القرشيين الثلاثة «بالارستقراطية» كما وصف بها عثمان من قبل - وما ندري أي ارستقراطية يعني في ذلك المجتمع الإسلامي الوليد الذي لا تزال تعاليم الدين فيه غضة..))⁽⁵⁾ ويشير بعد ذلك إلى ما ذكره هؤلاء المستشرقون - لتقوية زعمهم - من صلات المصاهرة بين الذين كلفوا بالجمع وبين عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومن أن المصالح المشتركة هي التي جمعتهم، وأن زيدا المدني تملق لهم إلى آخر هذا الهراء!، ثم يقول: ((وهذا الكلام لتهافته وتناقضه - يكذب آخره أوله؛ فحسبنا هذا في إشراك زيد المدني في خطة المكيين الثلاثة دليلاً على فساد هذا الاستنتاج الذي لا يستند إلى عقل ولا نقل))⁽⁶⁾.

- وردّه على المستشرق ((كازانوف)) الذي جمع معلومات كثيرة عن المصاحف العثمانية، ورؤية بعض العلماء القدامى لها أو لبعض منها، وارتاب بقيمتها التاريخية، فيقول عنه: "غير أن كازانوف" بعد إيراده تلك المعلومات الدقيقة المفيدة - لا يلبث أن يصرح بارتياحه بقيمتها التاريخية وإذا

(1) المصدر السابق نفسه.

(2) ينظر في توجيه الحصر الوارد في هذه الروايات - : الإتيان: 1 / 199 وما بعدها، مناهل العرفان: 1 / 298 وما بعدها.

(3) ينظر: مناهل العرفان: 1 / 312 - 320.

(4) مباحث في علوم القرآن: 79 - 80.

(5) في الهامش (3) من صفحة: 79.

(6) ينظر: المصدر السابق: 80. وانظر: إتيان البرهان في علوم القرآن: 1/236 وما بعدها فإنه ينقل من الشيخ صبحي الصالح خلاصة ما ذكره عن بلاشير وردّه عليه.

هو يأتي بأغرب رأي وأجرئه في عالم الدراسات القرآنية..⁽¹⁾ ويوضح مضمون هذا الرأي، وهو أن جمع عثمان للمصحف لم يكن في نظره إلا قصة وهمية ((أحكم نسجها في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان توطئة للمبالغة في شأن التحسينات التي أدخلت على رسم المصحف في عهد الخليفة المذكور..))⁽²⁾، ثم يبين تهافت ما ذهب إليه المستشرق المذكور قائلاً: ((وأعجب من هذا كله أن كازانوفاً لا يتورع عن المجازفة بإلقاء حكم صياني لا يوافقه عليه عاقل بين الناس حتى ولا إخوانه المستشرقون فيجعل الحجاج بن يوسف الثقفي أول جامع للقرآن...))⁽³⁾ ثم يورد كلام المستشرق ((بلاشير)) في الرد على كازانوفاً مصرحاً بعقم هذا الرأي وفساده قائلاً: ((لا يمكننا قط أن نتابع "كازانوفاً" على هذا الزعم الجريء الذي تنتفضه النصوص الثابتة..))⁽⁴⁾ إلى آخر ما يقوله في هذا المجال.

- ترجيحه الرأي القائل بأن ترتيب السور في المصحف توقيفي كترتيب الآيات ودفاعه عن هذا الرأي بقوة، وردّه على الأدلة التي اعتمد عليها المخالفون لهذا الرأي، فيقول: ((وأما ترتيب السور فتوقيفي أيضاً، وقد علم في حياته - ﷺ - وهو يشمل السور القرآنية جميعاً، ولسنا نملك دليلاً على العكس، فلا مسوغ للرأي القائل إن ترتيب السور اجتهادي من الصحابة، ولا للرأي الآخر..))⁽⁵⁾ الذي يرى أن من السور ما كان ترتيبه اجتهادياً، ومنها ما كان توقيفياً، ويردّ على المخالفين معتمداً - في عرض الأدلة والردود - على من سبقه من الباحثين القدماء والمعاصرين⁽⁶⁾ الذين كتبوا في هذا المجال إلى أن يقول: ((.. الرأي الراجح المختار إذن أن تأليف السور على هذا الترتيب الذي نجده اليوم في

(1) مباحث في علوم القرآن: 88.

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) المصدر السابق نفسه.

(4) المصدر السابق، وانظر: مدخل القرآن الكريم (عرض تاريخي وتحليل مقارنة) د. محمد عبد الله دراز: 40 فإنه ينقل عن مستشرقين آخرين ما يصلح أن يكون رداً على ما ذهب إليه ((كازانوفاً)).

(5) مباحث في علوم القرآن: 71 - 73.

(6) ينظر: البرهان، الزركشي: 1 / 260 - 262، الإتيان، السيوطي: 1 / 176 - 179 مناهل العرفان، الزرقاني: 1 / 419 وما بعدها.

ومن الذين رجحوا هذا الرأي ونسبوه إلى الجمهور - خلافاً للإمام السيوطي وللشيخ الزرقاني اللذين نسبا القول بالاجتهاد إلى الجمهور - الأستاذ الدكتور فضل حسن عباس في كتابه: إتيان البرهان: 1 / 449 وما بعدها والأستاذ الدكتور مصطفى مسلم في كتابه: مباحث في التفسير الموضوعي: 78 - 81.

المصاحف هو - كتأليف الآيات على هذا الترتيب - توقيفي لا مجال فيه للاجتهاد.. ((¹) ثم يوضح سبب عدم جمع القرآن كله بين دفتي مصحف واحد في عهد رسول الله ﷺ مع هذا التوقيف.

• - رده على شبهة أثيرت حول إيداع الصحف التي جمع فيها القرآن في عهد سيدنا أبي بكر الصديق - رضي الله عنه - بعد وفاة عمر رضي الله عنه عند السيدة حفصة بنت عمر وعدم تسليمها إلى الخليفة الجديد عثمان بن عفان رضي الله عنه فيقول: ((وقد أثارت ((دائرة المعارف الإسلامية)) شبهة حول هذا الموضوع، فتساءلت: ألم يكن عثمان أجدر أن تودع هذه الصحف عنده؟ ونجيب: بل حفصة أولى بذلك وأجدر؛ لأن عمر أوصى بأن تكون الصحف مودعة لديها، وهي زوجة رسول الله أم المؤمنين فضلاً على حفظها القرآن كله في صدرها وتمكنها من القراءة والكتابة، وكان عمر قد جعل أمر الخلافة شورى من بعده، فكيف يسلم إلى عثمان هاتيك الصحف قبل أن يفكر أحد في اختياره للخلافة..)) (²).

إلى غير ذلك مما ذكره في معالجته لبقية مباحث الكتاب (³) متأثراً بمن سبقه من الباحثين في حقل الدراسات القرآنية. ولعلّ النماذج الأربعة التي ذكرتها، والتي جاءت على عدد أبواب الكتاب، وإن لم تكن موزعة عليها - تعطي صورة واضحة عن الكتاب أو قريبة من الوضوح؛ فمقام البحث لا يحتمل أكثر من ذلك - كما أرى.

(1) مباحث في علوم القرآن: 73.

(2) المصدر السابق: 77، وقد وثق الشبهة وعزاها إلى موضعها في المرجع في الهامش (2) من نفس الصفحة.

(3) من مثل: بيان المراد بالأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن الكريم وردوده واختياراته، ووقوفه عند أسباب النزول وأثرها في بيان معاني الآيات القرآنية وما يتعلق بها، وحديثه عن الناسخ والمنسوخ وإشارته إلى بعض المبالغات التي وقعت في هذا البحث، وتطرقة للحديث عن الإعجاز في نغم القرآن وتحليله لبعض الشواهد من الآيات القرآنية التي يظهر فيها هذا النوع من الإعجاز في آخر فصل من فصول الكتاب.

الخاتمة

ومما تقدم من الحديث عن حياة الشيخ صبحي الصالح وتراثه العلمي وجهوده العلمية في كتابه: "مباحث في علوم القرآن" يمكن تلخيص أهم ما انتهى إليه البحث من النتائج وهي:

- أن الشيخ صبحي الصالح كان أستاذاً جامعياً "أكاديمياً" وعلماً من أعلام الفكر الإسلامي الذين بذلوا جهوداً معتبرة للنهوض بالمجتمع الإسلامي، وكان صاحب فكر نير واطلاع واسع وثقافة موسوعية ومنهج علمي متميز، وكان دائم التطلع إلى قضايا التجدد والتجديد ضمن الحدود والضوابط التي رسمها الإسلام القويم.

- أنه كان من خيرة العلماء الدعاة، لم يمنعه اشتغاله بالتحصيل العلمي وإعداد الأبحاث العلمية للحصول على المؤهل العلمي المطلوب - عن القيام بواجب الدعوة إلى الله في المساجد والأندية من خلال خطب الجمعة وإلقاء المحاضرات ودروس الوعظ والإرشاد.

- أن أعماله العلمية التي تناولت مختلف العلوم الإسلامية والدراسات الأدبية واللغوية والحضارية والفلسفية والمشاركة في إعداد الموسوعات العربية والعالمية - قد تميّزت بالعمق في التحليل والمناقشة، والدقة في الملاحظة، والمنهجية في المعالجة والعرض.

- أن كتابه: "مباحث في علوم القرآن" من الكتب المميّزة في حقل الدراسات القرآنية في العصر الحاضر تناول فيه المباحث العلمية المتعلقة بالقرآن الكريم " علوم القرآن بالمعنى المدوّن" بأسلوب يتسم بالقدرة على التحليل والمناقشة، والدقة في التعبير عن الأفكار والقضايا التي عالجه، وبمنهج علمي رصين، وظهر ذلك جلياً في النماذج التي وردت في البحث كما ترى هذه الدراسة. ولعل هذا هو السر في الاهتمام بهذا الكتاب والإقبال عليه.

مصادر البحث

أولاً- الكتب :

- إتيان البرهان في علوم القرآن، الدكتور فضل حسن عباس، الطبعة الأولى (1997م)، دار الفرقان- الأردن.
- الإتيان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي (911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط (1408هـ -1988م)، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع صيدا .بيروت.
- إتمام الأعلام (ذيل لكتاب الأعلام لخير الدين الزركلي)، د.نزار أباطة، محمد رياض المالح، الطبعة الثانية (1999م)، دار الفكر بدمشق، دار صادر-بيروت.
- الإسلام ومستقبل الحضارة ، د.صبيح الصالح ، الطبعة الثانية(1990م) ، دار الشورى، بيروت- لبنان، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع ،دمشق-سوريا.
- البرهان في علوم القرآن للإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي (794هـ) ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ،دار المعرفة، بيروت- لبنان.
- تنمة الأعلام للزركلي ، محمد خير يوسف ، الطبعة الثانية (1422هـ/2002م) ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت - لبنان.
- تكملة معجم المؤلفين، محمد خير يوسف ، الطبعة الثانية (1418هـ/1997م) ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت - لبنان.
- جامع البيان في تفسير القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير الطبري (310هـ)، ط (1403هـ/1983م)، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان.
- دراسات في علوم القرآن (رؤية جديدة)، د. أحمد زكريا ياسوف، ط (1427هـ/2006م).
- الرسالة ،للإمام محمد بن إدريس أبو عبد الله الشافعي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، القاهرة (1358هـ/1939م).
- سنن الترمذي ،أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي (279هـ)،تحقيق:أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي ،بيروت.

- سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد أبو عبد الله القزويني (275هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت.
- الصحابي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها، لأبي الحسين أحمد بن فارس (395هـ)، تحقيق: مصطفى الشويبي، ملتزم الطبع والنشر مؤسسة أ. بدران للطباعة والنشر، (1382هـ/1963م) بيروت - لبنان.
- صحيح الإمام البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري (256هـ)، تحقيق: د. مصطفى البغا، الطبعة الثالثة (1407هـ/1987م)، دار ابن كثير، اليمامة، بيروت.
- صحيح مسلم بشرح النووي، للإمام محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (676هـ)، الطبعة الأولى (1414هـ/1994م)، دار الخير - دمشق.
- الظاهرة القرآنية، مالك بن نبي، ترجمة: الدكتور عبد الصبور شاهين، تصوير (1406هـ/1986م) عن ط (1981م)، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر - دمشق.
- عقد الجواهر في علماء الربع الأول من القرن الخامس عشر، الدكتور يوسف المرعشلي، الطبعة الأولى (1427هـ/2006م)، دار المعرفة، بيروت - لبنان.
- علوم الحديث ومصطلحه عرض ودراسة، الدكتور صبحي الصالح، الطبعة الخامسة عشرة، كانون الثاني (1984م)، دار العلم للملايين، بيروت - لبنان.
- علوم القرآن الكريم، الدكتور نور الدين عتر، الطبعة السادسة (1416هـ/1996م)، مطبعة الصباح، دمشق.
- القرآن الكريم والدراسات الأدبية، الدكتور نور الدين عتر، ط (1406هـ/1986م)، المطبعة الجديدة - دمشق.
- قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية (نقد مطاعن ورد شبهات)، الدكتور فضل حسن عباس، الطبعة الثانية (1410هـ/1989م)، دار البشير - عمان.
- لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، تأليف: الدكتور محمد عجاج الخطيب، الطبعة الرابعة والعشرون (1426هـ/2005م)، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان.

- مباحث في التفسير الموضوعي ،الدكتور مصطفى مسلم ،الطبعة الأولى (1410هـ/1989م)،دار القلم ،دمشق.
- مباحث في علوم القرآن ،د.صبحي الصالح ،الطبعة الخامسة عشرة، تشرين الثاني (1983م)،دار العلم للملايين ،بيروت -لبنان.
- مباحث في علوم القرآن ،مناع القطان ،الطبعة السابعة(1410هـ/1990م)، مكتبة وهبة - القاهرة.
- مدخل إلى القرآن الكريم،عرض تاريخي وتحليل مقارن، الدكتور محمد عبد الله دراز، ط (1400هـ/1980م)،دار القلم - الكويت.
- مقدمتان في علوم القرآن (مقدمة كتاب المباني، ومقدمة ابن عطية)، نشر: أرثر جفري، تصحيح: عبدالله إسماعيل الصادي، الناشر: مكتبة الخانجي بالقاهرة.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، تحقيق: الدكتور بدیع السيد اللحام، الطبعة الأولى(1418هـ/1998م)،دار قنتيبة - دمشق.
- من روائع القرآن، الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، الطبعة الخامسة(1397هـ/1977م)،مكتبة الفارابي - دمشق.
- النبأ العظيم (نظرات جديدة في القرآن)، الدكتور محمد عبد الله دراز، ط(1404هـ/1984م)، دار القلم - الكويت.

ثانياً- المجالات:

- مجلة جامعة دمشق، المجلد الثاني عشر، العدد الأول(1996م)، بحث: علوم القرآن الكريم تاريخه وتطوره، للدكتور محمد الشرجي : 160 وما بعدها.
- مجلة كلية الدعوة الإسلامية (محكمة)، العدد الثامن (1991م)، ليبيا، بحث: دراسة لكتاب الإسلام ومستقبل الحضارة للدكتور صبحي الصالح، للباحث: محمد عبد السلام الجفائري (194 -210).